إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ

وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ

إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،

وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللهَ، وَتَمَسَّكُوا بِهُدَاه؛ فَالتَّقْوَى تَدْفَعُ السُّوْءَ والبَلْوَى! ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ

اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ

السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّهَا آيَةُ النَّصْرِ

وَالنَّجَاحِ، وَشَرْطُ الثَّبَاتِ

والفَلَاح! وَهِيَ فِي قَوْلِهِ تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا

اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

أَقْدَامَكُمْ﴾. قال المُفَسِّرُونَ:

(أَيْ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا﴾ دِينَ اللهِ:

يَنْصُرْكُمْ عَلَى الْكُفَّارِ. ﴿وَيُثَبِّتْ

أَقْدامَكُمْ﴾: أَيْ عِنْدَ الْقِتَالِ،

وَقِيلَ: عَلَى الْإِسْلَامِ، وَقِيلَ:

عَلَى الصِّرَاطِ، وَقِيلَ: المُرَادُ

تَثْبِيتُ الْقُلُوبِ بِالْأَمْنِ؛ فَإِنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَلِهَذَا قَالَ تعالى: ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾: بِأَنْ يَمْلأَ قُلُوْبَكُمْ: سَكِيْنَةً وَاطْمِئْنَانًا، وَأَبْدَانَكُمْ: قُوَّةً وَشَجَاعَةً: فِي حَالِ القِتَالِ،

وفي وَقْتِ البَحْثِ وَالجِدَالِ،

وفي جَمِيعِ الأَعْمَالِ!)[1].

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ المُؤْمِنِينَ

إِذَا امْتَثَلُوا أَمْرَ اللهِ بِقَدْرِ

طَاقَتِهِمْ، وَاجْتَمَعَ لَهُمْ: حُسْنُ

الِاعدَادُ، وَصِحَّةُ الِاعْتِقَادُ،

[1] تفسير القرطبي (16/ 232)، تفسير ابن كثير (7/ 287)، نظم الدرر، البقاعي (18/ 209). بتصرف واختصار

وَالِافْتِقَارُ إلى الوَاحِدِ القَهَّارِ؛

كَانُوا أَهْلاً لِلْنَّصْرِ المُبِيْنِ؛ لِأَنَّهُم

اتَّصَلُوا بِالقَوِيِّ المَتِيْنِ!

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ

اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، قال قَتَادَة:

(حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ سَأَلَهُ، وَيَنْصُرَ مَنْ نَصَرَهُ!)[2].

<u>وَمِنْ أَسْبَابِ الانْتِصَارِ:</u> تَجْدِيْدُ الإِيْمَانِ، وَطَاعَةُ الرَّحْمَنِ، وَتَرْكُ العِصْيَان، وَحِيْنَئِذٍ يَتَحَقَّقُ النَّصْرُ والأَمَانُ! قال ﷻ:

[2] تفسير الطبري (21/ 193).

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ المُتَفَرِّدَ بِالنَّصْرِ: هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّ غَيْرَهُ لا يَمْلِكُ مِنَ النَّصْرِ شَيْئًا؛ لِأَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الكَونِ بِتَدْبِيرِهِ وَمَشِيْئَتِهِ! ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

وَالنِيَّةُ الصَّادِقَةُ، وَالعَقِيْدَةُ الرَّاسِخَةُ؛ سَبَبٌ لِلْنَّصْرِ وَالسَّكِيْنَةِ، وَالفَتْحِ وَالطُّمَأْنِيْنَةِ!

قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ

﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. وفي الحديث: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ)[3].

وَالثَّبَاتُ على الحَقِّ بَعْدَ النَّصْرِ؛ أَعْظَمُ مِنَ النَّصْرِ! فَإِنَّ كَثِيرًا

[3] رواه البخاري (3126)، ومسلم (1904).

مَنْ يَثْبُتُ على المِحْنَةِ وَالبَلَاءِ،

وَلَكِنَّ القَلِيْلَ مَنْ يَثْبُتُ عَلَى

النَّصْرِ وَالنَّعْمَاءِ! وَلِهَذَا بَيَّنَ اللهُ

صِفَاتَ المُنْتَصِرِيْنَ بِقَوْلِهِ:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ

أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ

وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ[4].

وَمِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ: الِاتِّفَاقُ والِاجْتِمَاعُ، وَتَرْكُ التَّفَرُّقِ

---

[4] قال العلماء: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَسْئُوْلِيَةَ تَحْقِيْقِ العِزَّةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ: فَيَكُونُ بِنَفْسِهِ: قَائِمًا بِأَمْرِ اللهِ، عَامِلاً بِالإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، نَاصِحًا لِإِخْوَانِهِ، آمِرًا بِالمَعْرُوفِ، نَاهِيًا عَنْ المُنْكَرِ؛ حَتَّى تَصْلُحَ أَحْوَالُ المُسْلِمِينَ، أَوْ يَلْقَى اللهَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، وَقَدْ اتَّقَاهُ حَسَبَ وِسْعِهِ). فتاوى اللجنة الدائمة (26/ 46). باختصار

وَالنِّزَاعِ! ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ القُوَّةَ الرُّوْحِيَّةَ هِيَ الأَصْل، وَالقُوَّةَ الجَسَدِيَّةَ تَبَعٌ لِهَا، **وَالمَطْلُوبُ:** هُوَ الجَمْعُ بين القُوَّتَيْنِ: فَإِنَّ نَصْرَ اللهِ مَرْهُوْنٌ بِأَمْرَيْنِ:

الأَوَّل: الإعدادُ المَعْنَوِيُّ:

بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، وَنُصْرَةِ دِيْنِ اللهِ: اعْتِقَادًا، وَقَوْلاً، وَعَمَلاً.

والأَمْر الثاني: الإِعْدَادُ المَادِي:

كما قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الانْتِصَارِ: الحَذَرُ

مِنَ الِافْتِخَارِ! قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾؛ فَلَمَّا تَوَاضَعُوا لِرَبِّهِمْ، وَعَرَفُوْا ضَعْفَهُمْ؛

وعَاقِبَةَ إِعْجَابِهِمْ: ﴿أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ حَلَاوَةَ النَّصْرِ، لَا تَأْتِي إِلَّا بَعْدَ مَرَارَةِ الصَّبْرِ! قال ﷺ: (وَاعْلَمْ أَنَّ فِي

الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[5].

وَمِنْ شُؤْمِ العِصْيَانِ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْهَزِيْمَةِ وَالخِذْلَانِ! قال ﷻ:

[5] رواه أحمد (2800)، وصححه محققو المسند.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ

أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ

هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ .

وَإِذَا عَادَ النَّاسُ إِلَى رَبِّهِمْ بِالتَّوْبَةِ

وَالِاسْتِغْفَارِ: عَادَ إِلَيْهِم الفَتْحُ

وَالِانْتِصَارِ! ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ

إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا

وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِيْنَ فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ: أَنَّ قَلِيْلَ التَّقْوَى، يَغْلِبُ كَثِيرَ الجيوشِ، وَأَنَّ الْقُوَّةَ الْقَلْبِيَّةَ، أَجْدَرُ

بِالنَّصْرِ مِنَ الْقُوَّةِ المَادِّيَّةِ! وَلِذَا كان النبيُّ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ: أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ![6]

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

---

[6] رواه مسلم (3261).

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛

فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِهِ،

والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ

وَامْتِنَانِه، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا

اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه.

أَمَّا بَعْدُ: إِذَا رَجَعَ النَّاسُ إِلَى الدِّيْنِ، وَتَسَلَّحُوا بِالصَّبْرِ وَاليَقِينِ؛ عَادَ إِلَيْهِمُ العِزُّ وَالتَّمْكِينُ! وَإِذَا تَخَلَّى المسلمونَ عَنِ الإسلام، وَانْشَغَلُوا بِالتَّوَافِهِ: فَقَدْ أَضَاعُوا هَوِيَّتَهُمْ، وَصَارُوا في أَذْيَالِ الأُمَمِ!

وَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ **ذُلًّا** لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِمْ![1] قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: (إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ، فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ

---

[1] قال ﷺ: (إذا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ). رواه أبو داود (3462)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (11). قال الشوكاني: (وَسَبَبُ هَذَا الذُّلِّ: أَنَّهُمْ لَمَّا تَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ -الَّذِي فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ- عَامَلَهُمْ اللهُ بِنَقِيضِهِ: وَهُوَ إِنْزَالُ الذِّلَّةِ؛ فَصَارُوا يَمْشُونَ خَلْفَ أَذْنَابِ الْبَقَرِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَرْكَبُونَ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ، الَّتِي هِيَ أَعَزُّ مَكَانٍ!). نيل الأوطار (5/ 246).

بِهِ: أَذَلَّنَا اللهُ!)[8]. ولَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ، جَلَسَ **أَبُو الدَّرْدَاءِ** رضي الله عنه يَبْكِي، فَقِيلَ: (يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟!) فقَالَ: (مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ، إِذَا هُمْ

[8] رواه الحاكم في المستدرك (207).

تَرَكُوا أَمْرَهُ، بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ، تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ؛ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى)[9]. ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

****

[9] حلية الأولياء، أبو نعيم (1/ 216).

* **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الإِسْلامَ والْمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والْمُشْرِكِيْن.

* **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين.

* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا في أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لما تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

* **عِبَادَ اللهِ:** ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

* **فَاذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوْهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ** ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

❊ ❊ ❊ ❊

قَنَاةِ الخُطَبِ الوَجِيْزَة

https://t.me/alkhutab

❊ ❊ ❊ ❊